المعنى عند جورج مور (المقالة التاسعة عشر)

أد/ ناصر هاشم محمد –أستاذ الفلسفة بآداب أسيوط

تحتل نظرية المعنى مكانة الصدارة في الدراسات الفلسفية واللغوية المعاصرة ،وترجع أهمية هذه النظرية إلي أنها نتاج التفاعل المشترك والمتواصل بين المناطقة وفلاسفة اللغة وعلماؤها على السواء، حتى أصبح الوصول إلي التعريف الدقيق الخالي من اللبس والغموض، وبيان معاني الألفاظ والعبارات هو الشغل الشاغل لمعظم الفلاسفة في القرن العشرين، خاصة بعد التطورات العلمية السريعة التي شهدتها العلوم الطبيعية والإنسانية، وبعد أن أصبح الاهتمام بمشكلة المعنى في الفلسفة المعاصرة ليس قاصراً على التيارات التحليلية مثل الفينومولوجيا والبراجماتية والبنيوية.

إن السؤال عن المعنى هو من أقدم الأسئلة المطروحة على الذهن الإنساني، فقديما اعتبر سقراط (399ق.م) المعنى المحور الرئيسي الذي تقوم عليه الفلسفة، ورأى أن غاية الفلسفة هي بلوغ المعنى الدقيق للألفاظ والمصطلحات، فأراد سقراط أن يحررها من كل أشكال الزيف والغموض التي طبعها بها السفسطائيون، وأراد القضاء على الشك والبلبلة والفوضى الفكرية التي أشاعتها السفسطائيون في المجتمع اليوناني من خلال قدرتهم العجيبة على التلاعب بالألفاظ وتزييف معانيها، ثم جاء أفلاطون(348ق.م) وأقام منهجه الجدلي "الصاعد والهابط" على الانتقال من المعاني العامة إلي المعاني الخاصة، أو من الأجناس إلي الأنواع والعكس، كما جاءت محاوراته السقراطية نموذجاً للمعنى الدقيق واللفظة المحددة، ثم جاء بعده أرسطو(322ق.م) وعبر منطقة عن علاقة التوازي بين المنطق واللغة، وقد أشار أرسطو في أكثر من موضع بأن منطقه يتعلق بصورة القضايا والحجج المنطقية أكثر من مضمونها، فكان أرسطو ينظر للمعنى والصورة المنطقية على أنهما شيئا واحدا، وكل منهما يعبر عن الآخر.

وقد ظل الأثر الأرسطي ممتدا حتى العصور الوسطى وبدايات العصور الحديثة، ومع بداية الاهتمام بالدراسات الرياضية وظهور المنطق الرياضي واعتماد الفلاسفة والمناطقة على اللغة الرياضية في التعبير عن أفكارهم، اختفت مشكلات الصدق والمعنى تدريجيا، ثم عادت للظهور مرة ثانية مع مطلع القرن العشرين، ولكن في ثوب جديد وبإشكاليات جديدة فرضها التطور العلمي على كل المستويات، وفرضتها

التيارات الفكرية والفلسفية المتعددة، حتى أصبح المعنى الشغل الشاغل لمعظم المدارس والاتجاهات الفكرية وعلى رأسها التيار الواقعي، والتيار الوضعي.

ونحاول من خلال هذه الدراسة أن نعرض لهذه المشكلة عند رائد التيار الواقعي في القرن العشرين" جورج مور(1958)" الذي ناقش قضية المعنى وصلتها بتحليل الألفاظ والأفكار، كما بحث المشكلات التي أثيرت حولها مثل علاقة المعنى والصدق ومشكلة المعنى والتحليل، ومشكلة العلاقة بين الألفاظ والأشياء، والأفكار والأشياء، وقد عرض مور لهذه المشكلات من خلال منهج واضح هو المنهج التحليلي، كان يهدف من هذه الدراسة والبحث إلي إرجاع الألفاظ والعبارات إلي استعمالها عند الأفراد العاديين، لاعتقاده بأن اللغة العادية التي يتحدثها الأفراد في حياتهم اليومية هي اللغة الشائعة، وهي اللغة التي تستمد معناها من الإدراك الفطري أو الحس المشترك.

وبذلك يختلف مور مع برتراند راسل(1970) وفتجنشتين(1952) الذين أسسوا معه المذهب الواقعي، حيث جعلوا هدف التحليل هو تحديد معاني ألفاظ ومصطلحات اللغة العلمية وليس العادية، ومع ذلك يتفق الثلاثة على أن غاية الفلسفة هي تحليل الألفاظ والعبارات.

إن فكرة المعنى هي الفكرة المحورية التي تدور حولها أغلب فلسفات القرن العشرين، فهى تمثل حجر الزاوية في فلسفة جورج مور، وتكمن أهمية مور في إنه ترك نظرية متكاملة في تحليل المعنى، وهي النظرية التي كان لها عظيم الأثر في جيل كامل من الفلاسفة والباحثين، ولهذا فهي جديرة بالاهتمام والدراسة، وهذا ما دفعنى للقيام بهذه الدراسة التى تقوم على المنهج النقدي المقارن ، قمت بعرض آراء مور في المنطق واللغة والأخلاق والعالم الخارجي، وقارنت بينها وبين آراء السابقين في هذه الموضوعات، ورد مور عليهم وبيان كيف تناول مور هذه الموضوعات من خلال تحليله معاني الألفاظ والمصطلحات الواردة في هذه المجالات، وحرصه على بيان سوء فهم بعض الفلاسفة للمعاني والمصطلحات، وخطأهم في الفصل بينها وبين الواقع، وخطأهم في توجيه السؤال الفلسفي.

الأسس المنهجية لفلسفة مور:

لقد قامت فلسفة مور على عدة أسس محددة كان من اهمها

رفض آراء وأفكار المذهب المثالي خاصة قول المثاليون بوجود معاني في ذاتها وقولهم بأن وجود الشيء هو إدراكه واعتقاده بضرورة أن يوجه الجهد الفلسفي إلي توضيح المعاني وإزالة اللبس والغموض عن ألفاظ اللغة العادية، ومحاولة تقديم وصفا عاما دقيقاً للكون الكلي.

مناقشة الشروط التي يجب توافرها للألفاظ حتى يصبح لها معنى دقيق.

مناقشة الصلة بين المعنى والواقع أو ما يسميه مور بالعالم الخارجي.

البحث في صدق أو كذب هذه الألفاظ والعبارات.

وقد اهتم مور بالمعنى أكثر من اهتمامه باللفظ، وهو ما جعل المؤرخون للفلسفة يعدونه رائداً من رواد فلسفة المعنى، وصاحب نظرية متكاملة في تحليل معاني اللغة خاصة اللغة العادية وكان هدفه من هذا التحليل هو الوقوف على المعنى الصحيح للمفاهيم والعبارات والربط بينها وبين الواقع، وبيان أخطاء هؤلاء الفلاسفة التي وقعوا فيها بفضل إساءة فهمهم للمعنى المقصود من العبارة لاسيما التي يتحدثها الأفراد العاديون.

لقد اعتمد مور على التحليل ليظهر أن وظيفة الفلسفة هي توضيح معاني الألفاظ وإزالة اللبس والغموض الذي أصاب اللغة العادية، الذى أدى إلى حياد بعض الفلاسفة عن المعنى الذي يقره الإدراك الفطري الذي أعتبره مور المعيار أو المقياس الذي توزن به العبارات والأفكار وتحدد درجة دقتها ومطابقتها للواقع.

وقد كان مور يفرق تفرقة واضحة بين معرفة معنى اللفظة وتحليل هذا المعنى، لهذا نراه يشترط في الفيلسوف القدرة على فهم المعنى، والقدرة على تحليل هذا المعنى في نفس الوقت، ففهم المعنى له أهمية تسبق أهمية تحليله عند مور كما يسبق معرفة إذا ما كان هذا اللفظ صادقاً أو كاذباً، وأكد مور على أن سوء فهم بعض الفلاسفة لمعاني الألفاظ واهتمامهم بالصدق على حساب المعنى أدى بنا إلي إنكار بعض المعاني والحقائق التي يجب التسليم بها، وهي تلك المعاني التي نستعملها في حياتنا العادية، وهي فقط من وجهة نظره المعاني الصادقة والضرورية والشائعة، وعبر مور عن موقفه هذا في مقالته الشهيرة عن الضرورة التى يقول فيها : "أنه لا يحرص في هذا البحث على الكشف عن الأشياء الضرورية، أو التحقق مما إذا كان القضايا التي نحكم فيها بأن "أ" ضرورية صادقة أو كاذبة

إن مورلا يحرص فقط على توضيح ما يقصده الأفراد العاديين من ألفاظهم، واكتشاف المبررات أو أداة التعبير ، بل ينظر إليها باعتبارها هدفا رئيساً من أهداف البحث الفسلفي في ذاتها.

وقد اختلفت الآراء حول الدور الذي لعبه مور في الفلسفة التحليلية، كما اختلفت حول كونه فيلسوف معنى أكثر منه فيلسوف صدق أو العكس، وقد انقسم الباحثون في هذا الصدد إلي فريقين:

الفريق الأول:

ذهب أنصاره إلي أن القول بأن مور كان فيلسوف صدق أكثر منه فيلسوف معنى، واستدلوا على ذلك بأن مور لم يحصر كل مهمة الفلسفة في مشكلات المعنى والمنطق والتحليل فحسب بل اهتم أيضا بدراسة المعطيات الحسية وبعض المسائل الأخلاقية.

الفريق الثاني:

واعتبر أنصاره مور فيلسوفاً للمعنى أكثر منه فيلسوف للصدق ووصفوه بأنه فيلسوف فلاسفة لأنه وجه الجانب الأكبر من اهتماماته إلي مناقشة آراء وأقوال الفلاسفة وتحليل عباراتهم، حتى تحول السؤال الفلسفي عنده من ماذا نعرف؟ إلي ماذا نعنى بهذا الذي تقول إننا نعرفه؟.

إن مور يحرص كل الحرص على ربط الفكر باللغة ويهتم بمعالجة المشكلات الفلسفية من زاوية اللغة التي تصاغ فيها عادة تلك المشكلات، فسار الجهد الفلسفي عنده منحصراً في العملية التحليلية التي يقوم بها الفيلسوف حين يفحص "الصيغ" التي وصفت على نحوها تلك المشكلات والأحكام التي صيغت في عباراتها ونتائجها النهائية.

إن التحليل الذي يقصده مور يقوم على الجمع بين اللغة والفلسفة والمنطق، لأنه تحليل للألفاظ وردها إلي اللغة العادية وتحديد معناها المستمد من الإدراك الفطري بدقة، ولم يكن مور يهدف إلي اصطناع لغة علمية جديدة كما فعل فتجنشتين في تحليله المنطقي، كما قصد مور من وراء التحليل الوقوف على البناء اللغوي للعبارات وما ينطوي عليه من روابط وعلاقات، ولهذاينادي مور بضرورة أن يحرص الإنسان العادي على اكتشاف المعنى الحقيقي للسؤال قبل أن يوجهه وكذلك قبل الإجابة عليه ولن يتم له ذلك إلا بعرضها على

الإدراك الفطري أو الحس المشترك، لأنه مرجع الأفكار الصادقة كلها، كما أنه يمثل المعاني البديهية التي يسلم بها العامة والخاصة على السواء، كما إنه يقوم على اللغة البسيطة الواضحة، وعلى الاعتراف بالوجود الحقيقي للعالم الخارجي بما فيه من موضوعات وأفكار وعلاقات.

مصطلح التحليل وعلاقته بالمعنى عند السابقين:

تدل كلمة التحليل في أصلها الاشتقاقي على (التفكيك) ولكن يختلف معناها باختلاف الشيء الذي يفكك، وباختلاف النتائج التي نتوصل إليها، فهناك التحليل المادي الذي يقوم على تفكيك المادة إلي أجزائها المكونة لها، وهناك التحليل التصوري وهو تفكيك تصور معين إلي صفاته لتحديد مفهومه والتوصل إلي تعريفه، وهذا النوع من التفكيك يكشف عن أجزاء المعنى الخاص بلفظ من الألفاظ.

والتحليل بالمعنى الثاني هو التحليل المقصود عند مور على أن نضع في الاعتبار أن اللغة العادية هي التي أراد مور تحليل ألفاظها وليس ألفاظ اللغة العلمية، ولم يكن مور في الواقع هو أول من قال بمصطلح التحليل، وإنما ترجع نشأة هذا المصطلح إلي الفيلسوف اليوناني الكبير ديمقرطيس (457ق.م)، الذي كان يؤمن بأن كل شيء مادي يقبل التحليل والتقسيم إلي ذرات تتألف منه، وتبقى البسائط التي لا تنقسم ولا تجزأ ولا تقبل التحليل، وانتهى ديمقرطيس إلي القول بأن الذرة الأولية هي نهاية التحليل للوجود المادي، ووصف الذرة الأولية بأنها قطعة صماء لا ينفذ خلالها شيء لأنها أولية وبسيطة

كما عرف أرسطو التحليل واعتبره الأساس الذي يجب أن يقوم عليه علم المنطق، وليس أدل على ذلك من أنه قسم أبواب المنطق إلي التحليلات الأولى والتحليلات الثانية، فالمنطق عنده هو علم التحليل العقلي، إلا أن هذا التحليل كان يقتصر فيه أرسطو على الانتقال من الكلي إلي الجزئى، ومن العام إلي الخاص، كما جاءت عملية التحليل عنده لفظية، وشكلية، وصورية أكثر منه مادية، وكانت تقوم على الاستنباط العقلي ولا تنظر إلي المعنى.

أما الرواقيون فقد اتخذوا من التحليل محوراً أساسياً قامت عليه فلسفتهم، فقسموا الموجودات إلي جواهر وأعراض، واهتموا بصفة خاصة بالتحليل الفلسفي وبالبحث في قضية أصل اللغة والمشكلات الفلسفية التي أثيرت حولها، كما تحدثوا عن مقولات الجنس والعدد والزمن وغير ذلك، حتى يقول عنهم لايونز "إن الفلسفة

الرواقية على الأخص هي التي قامت بالتحليل المنطقي للغة، واستمرت نتائج هذا التحليل في تحديد المقولات النحوية"، كما أهتم الرواقيون ببناء نظرية متكاملة في المعنى والدلالة، لأنهم جعلوا اللغة ذات قيمة معرفية حيث يمكن من خلالها فهم طبيعة الأشياء وجوهرها، وكان طريقهم في ذلك هو علم الاشتقاق، قد كان لهذه النظرية الرواقية أثرها الواضح على بعض المناطقة واللغويين العرب، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر فخر الدين الرازي (606هـ) الذي يؤكد على الصلة بين المعاني والاشتقاق فيقول "أعلم أن أكمل الطرق في تعريف مدلولات الألفاظ هي طريقة الاشتقاق"، كما أشار الرازي في أكثر من موضع إلي فكرة وجود "مناسبة" بين اللفظ ومدلوله، ورغم ذلك لم تكن دلالة ذاتية لأن الدلالة تتغير بتغير المكان والزمان والذاتيات لا تكون كذلك كما نعرف.

وإذا انتقلنا إلي مصطلح ومفهوم التحليل عند الفلاسفة المحدثين، سنجد أن ديكارت كان من أوائل الفلاسفة الذين أدركوا أهمية التحليل بالنسبة للفيلسوف، فأكد ديكارت على أن الحواس والعقل ليست هي ملكاتنا الوحيدة للمعرفة الإنسانية، لأن هناك مكلة أخرى هي ملكة التجربة الداخلية أو الذوق السليم، وهذه الملكة تكون قادرة على أن تعرفنا الحقائق الأولى الواضحة بذاتها، وقد كان التحليل عند ديكارت(1650) يعنى الانتقال من الجزئي إلي الكلي، ومن البسيط إلي المركب، وكان يعتبر التحليل أحد قواعد التفكير العلمي والمنطقي السليم، ولم يهدف من ورائه إلي مجرد اكتشاف الأجزاء أو العناصر التي يتكون منها الكل فحسب، بل هو في نفس الوقت اكتشاف للعلاقات التي تربط بين هذه الأجزاء على نحو ما، والتي تؤدي بعد ذلك إلي جمع هذه الأجزاء أو إضافة جزء منها إلي الآخر، وهو ما عرف بقاعدة التركيب، فأصبح التحليل والتركيب عمليتين أساسيتين متكاملتين لابد من العقل من القيام بهما إذا أراد الوصول إلي الحكم الصحيح على الأشياء، بشرط أن تخلو المقدمات والبراهين من التناقض، وقد رفض مور رأي ديكارت في ضرورة الجمع بين التحليل والتركيب فقال: "أن الحقائق الضرورية بوجه عام خاصة تلك التي لا يمكن تصور عكسها تحليلية، بمعنى أن القضية التي تنكرها تصبح متناقضة

ويقول في موضع آخر: "إذا فهمنا كلمة "تحليلي" بهذا المعنى الذي ذكرناه أي الذي يثبت قانون عدم التناقض وحده، فمن الواضح أنه إذا كانت لفظة تركيب تعنى ما لا تثبته بهذا القانون فلن تكون أي حقيقة من الحقائق تحليلية وتركيبية معاً"